المحاضــرة الثانيــة :

مفهوم الأسلوبيــة ومجالها /2

تعنى الأسلوبية بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية ، أو ما يميز الكلام الفني عن الكلام العادي، لذلك فهي تتقاطع مع حقول معرفية أخرى أهمها : البلاغــة واللسانيات والشعريــة غير أن لكل منها مجاله وما يميزه .

1- الأسلوبيــة والبلاغـــة:

تتقاطع الأسلوبيــة مع البلاغة من حيث اهتمام كل منهما بالبعد الفـني في دراسة النصوص الأدبيـة ، ويطابق قيرو بين مجال العلم الأسلوبي ومحتوى التفكيـر البلاغي القديم، فموضوع كليهما « فن الكتابة وفن التركيب ، فن الكلام وفن الأدب » ، وهو ما جعل بعض الباحثين يقر بأن « الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر... الأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في الوقت نفسه ، هي لها بمثابة حبل التواصل ، وخط القطيعة في نفس الوقت أيضا» .

تجددت البلاغة في القرن التاسع عشر فكانت عاملا في وجود الأسلوبية ، بل هناك من عدها – الأسلوبية – بلاغة حديثة ، إذ البلاغة في خطوطها العريضة فن لغوي وفن أدبي ، وهما سمتان قائمتان في الأسلوبية ، غير أن الموقف تغير ففي بداية القرن العشرين ظهرت الأسلوبية إثر نوع من القطيعة مع البلاغة بعد أن قطعت شوطا آخر خلال مسيرتها التطويرية .

إن الأسلوبية علم له مقاييسه ومنطلقاته في التعامل مع الخطاب الأدبي ، ما يجعله مختلفا عن غيره من العلوم التي يتقاطع معها وأهمها البلاغة ، وقد لخص نور الدين السد أهم عناصر المفارقة والاختلاف في النقاط التالية :

علم البلاغــة	**الأسلوبيــة**
1- علم معياري	1- علم وصفي ينفي عن نفسه المعيارية
2- يرسم الأحكام التقييمية	2- لا يطلق الأحكام التقييمية.
3- يرمي إلى تعليم مادته وموضوعه	3- لا يسعى إلى غاية تعليمية.
4- يحكم بمقتضى أنماط مسبقة	4- يحدد بقيود منهج العلوم الوضعية.
5- يقوم على تصنيفات جاهزة	5- يسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها.
6- يرمي إلى خلق الإبداع بوصايا تقييمية	6- لا يقدم وصايا لكيفية الإبداع الأدبي.
7- يفصل الشكل عن المضمون	7- لا يفصل بين الشكل والمضمون.
8- يعد الانزياحات وسواها من الظواهر عوامل مستقلة تعمل لحسابها الخاص.	8- يعد الانزياحات عوامل غير مستقلة تعمل لحساب الخطاب كله.
9- يهتم بفصاحة الألفاظ وانسجام الأصوات في تركيب اللفظ ويقول بهجر الألفاظ غير الفصيحة والمركبة من أصوات متقاربة في المخارج والصفات.	9- يدرس الألفاظ والتراكيب الفصيحة وغير الفصيحة في الخطاب ويحللها ويحدد وظائفها ولا يقول بهجر أي عنصر من عناصر الخطاب.
10- يطلق الأحكام القيمية على أجزاء من الخطاب.	10- لا يطلق أحكاما قيمية على أجزاء من الخطاب أو على الخطاب كله.
11- يشير إلى العناصر البلاغية المكونة للخطاب، دون البحث فيما تفضي إليه من بناء وتناسق في شكل الخطاب ودلالته.	11- يشير إلى مكونات الخطاب جميعها ويبحث فيما يفضي إليه بناء وتناسقا وانسجاما شكلا ومضمونا.
12- لا يحدد الفروق بين الأجناس الأدبية	12- يحدد الفروق الأسلوبية بين الأجناس /أ
13- يهتم بتحديد إجرءاته في الخطابات	13- يهتم بتحليل أساليب الخطاب الأدبي

بكل أنواعها. 14- لا يبحث في قوانين الخطاب الأدبي فقط . 15- لا يحدد السمات المهيمنة على الخطاب . 16- يعتمد مقايس شكلية ولذلك لا يدرس الخطاب الأدبي في شموله، ولا يفرقه عن سواه من الخطابات الأخرى. 17- يدرس الخطاب الأدبي دراسة جزئية.	دون سواه. 14- يبحث في قوانين الخطاب الأدبي ومكوناته البنيوية والوظيفية. 15- يحدد السمات المهيمنة على الخطاب ويهتم بالسمات الأدبية. 16- مقاييس الأسلوبية شمولية في تحليل الدوال والمدلولات ولذلك تفرق بين ما هو أدبي وما هو غير أدبي، وتبحث في كيفية تشكيل الخطاب. 17- الأسلوبية تدرس الخطاب دراسة شمولية من حيث الظاهر أو الباطن.

2- الأسلوبيـــة واللسانيات :

من خلال التعريفات السابقة للأسلوبية بتأكد لنا البعد اللساني فيها وهو ما يؤكده روادها ، فرومان جاكبسون ذهب إلى إثبات أن الأسلوبية فن من أفنان شجرة الأسلوبية ويتفق معه كل من أريفاي ودولاس وريفاتير .

ذهب الدارسون العرب إلى ما ذهب إليه الغربيون في تأكيد العلاقة بين الأسلوبية واللسانيات وراحوا يحددون أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، يقول منذر عياشي : « لقد كان الظن بالأسلوبية أنها علم لن يلبث حتى يحظى بالاستقلالية وينفصل كليا عن الدراسات اللسانية ، ذلك لأن هذه تعنى أساسا بالجملة والأسلوبية تعنى بالإنتاج الكلي للكلام ، وإن اللسانيات تعنى بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة وان الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلا ، وأن اللسانيات تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن

الأسلوبية تعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر، هذا إلى جملة فروق أخرى» .

ويمكن تلخيص وجوه الاختلاف بين الأسلوبية واللسانيات فيما يلي:

اللسانيات	الأسلوبية
1- تعنى أساسا بالجملة 2- تعنى بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة 3- تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها	1- تعنى بالإنتاج الكلي للكلام 2- تتجه إلى المحدث فعلا 3- تعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر.

يلاحظ من خلال هذه الفروق أنه مع اختلاف العلمين عن بعضهما إلا أن هناك عاملا مهما مشتركا بينهما وهو أن موضوعهما واحد وهو " اللغــة " ، غير أن اللسانيات تتعامل مع مختلف الأشكال اللغوية في حين أن الأسلوبية تهتم بالاستخدام الفني للغة خاصة حين تخرج عن طرقها العادية إلى شيء من الانحراف والانزياح بغرض خلق دلالات جديدة ، وهو ما يجعل الأسلوبية تتقاطع مع الشعرية.

3- الأسلوبيــة والشعريــة :

إذا كانت الأسلوبية امتدادا للبلاغة فإن الشعرية امتداد للأسلوبية ، فقد نزعت هذه الأخيرة لاتخاذ الأدب موضوعا لها بعد أن تم تصورها كمادة لسانية ، لتفضي إلى الشعرية حريصة على أن تكون علما لغويا قائما بذاته مثلما عبر عن ذلك رومان جاكبسون .

أحدثت الشعرية تحولا في حقل الدراسات الأدبية عندما اتخذت موضوعها من داخل بنية الأدب نفســه ، فليس موضوعها العمل الأدبي إنما هو " أدبيــة الأدب " ، أي الخاصية

التي تجعل من عمل ما عملا أدبيا ، وهكذا حققت ما أخفقت فيه الأسلوبية حين اتخذت العمل الأدبي موضوعا لها بتوسيعها مجال البحث من اللغة إلى الأدب .

لم تقطع الشعرية صلتها بالأسلوبية حتى وإن حصل نوع من قطع الصلة بينهما على المستوى النظري فقد أُنجزت أبحاث مهمة تؤكد ذلك ، إذ أسس ليو سبيتزر في القرن العشرين شعرية أسلوبية تعالج أدبية النص بوصفها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية .

من خلال دراسة الأسلوبية في علاقتها مع اللسانيات والبلاغة والشعرية نلخص إلى أن مجال الأسلوبية يتقاطع مع مجال كل واحدة من هذه الحقول المعرفية ، إلا أنها تبقى علما قائما بذاته له أسسه ومقوماته .